حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
مجلة علمية محكمة

العزة في ضوء القرآن الكريم
"دراسة موضوعية"

إعداد

الدكتور/ أسماء صالح سند محمد الحنفي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية:

العزة في ضوء القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

أسماء صالح سند محمد الحنفي

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: sanadelhanafi@azhar.edu.eg

الملخص:

يتحدث هذا البحث عن العزة في ضوء القرآن الكريم، موضحة حقيقة "العزة" في اللغة والاصطلاح، وفي الاستعمال القرآني؛ وأقسام العزة المحمودة باعتبارها صفة لله تعالي، وصفة للقرآن الكريم، وصفة للرسول ﷺ، ووصفاً للمؤمنين.

وعزة المؤمنين المقيدة بزمام الشرع وتشتمل على الاعتزاز بالكفار، وبالأصنام، وبالقبيلة والرهط، وطرق تحصيل العزة عن طريق تحقيق العبودية، وتحصيل العلم، والاعتزاز بالدعوة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: العزة، ضوء الاستعمال القرآني، دراسة موضوعية.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

Pride in the Light of the Holy Qur'an "An Objective Study"

Asma Saleh Sanad Muhammad Al-Hanafi
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, College of Islamic and Arab Studies for Girls in Mansoura, Mansoura, Egypt
Email: sanadelhanafi@azhar.edu.eg

Summary:

This research talks about pride in the light of the Holy Qur'an, explaining the reality of "pride" in language, terminology, and in Qur'anic usage. The sections of praiseworthy glory are considered to be a name and an attribute of God Almighty, a description of the Holy Qur'an, a description of the Messenger, may God bless him and grant him peace, and a description of the believers.

The reprehensible pride includes pride in the infidels, in idols, in the tribe and the group, in prestige and position, and not accepting the truth is one of the characteristics of hypocrites And ways to gain pride through sacrifice

The freedom of slavery, the acquisition of knowledge, and taking pride in the Islamic call.

Keywords: glory, light of Qur'anic usage, objective study.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دُولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، والصلاةُ والسلامُ على إمام المتقينَ، وأسوة المؤمنينَ، نبينا الأمين؛ فاقَ النَّبيينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ولم يُدَانُوهُ في عِلمٍ ولا كَرَمٍ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

جاء النبي ﷺ هادي البشرية ومنقذها من غفلتها فأخرج العباد من رق أنفسهم إلى العبودية لله تعالي رب الأرض والسماء، ﴿**هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ**﴾[1].

فتحولوا إلى أمة لها عزتها وكرامتها لا تعرف الوهن ولا الذلة، جابوا الأرض هداة مهتدين، وأئمة للحق داعين، وما نال الصحابة رضوان الله عليهم هذا المقام إلا حين اعتزوا بدينهم، فلم يصرفهم عنه صارف فعاشوا أعزة وقادة وماتوا بشرف وكرامة.

ونظراً لما صاغته العزة في نفوسهم، ورسمت طريق المجد في خطاهم فهي تعتبر صمام أمان للمجتمع من الشرور والآفات، ومظهر من مظاهر رسوخ اليقين والقوة في الدين.

كان هذا الموضوع لعلنا ندرك الركب، ونصحح المسار.

---

(١) سورة الجمعة: ٢.

أهمية الموضوع:

١- لتعلقه بالنفس البشرية، وبالمجتمع الإسلامي، وبواقع الأمة وما تُعانيه من ظلم وإهانة.

٢- إخراج الموضوعات القرآنية للبحث والدراسة؛ لتكون زاد للدعاة والمصلحين بما يتوافق مع طبيعة العصر.

أسباب اختيار الموضوع:

تتلخص فيما يلي:

١- القيمة العلمية لموضوع العزة؛ فقد اشتمل على مادة تفسيرية موضوعية غزيرة تستحق الدراسة.

٢- بث الأمل في إعادة البناء وأن يُسهم كل فرد من في هذا البناء حتى ينشأ لدينا جيلاً عزيزاً لا يخضع لبشر، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق العزة، وصدق الله القائل في كتابه العزيز: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝﴾[(١)].

الدراسات السابقة:

وجدت بعضاً من الرسائل العلمية والكتب المتخصصة في موضوع البحث منها:

١- العزة في القرآن الكريم للباحث: وائل محمد على جابر .

٢- مفهوم العزة في القرآن الكريم للباحثة: إنجى دخيل الجدعاني.

---

(١) سورة النور: ٥٥.

٣- كتاب: العزة للدكتور: محمد الهبدان.

٤- كتاب: أحداث ومواقف في طريق العزة للدكتور: صالح بن حميد.

منهجي في البحث:

١- كتابة الآيات القرآنية وفق الرسم العثماني وجعل الآية بين قوسين ﴿﴾، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

٢- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها والحكم عليها.

٣- عرض لمفهوم العزة عن طريق التتبع والاستقراء.

٤- الرجوع إلى بعض كتب التفاسير لإيضاح المراد.

٥- توضيح بعض المصطلحات من خلال الرجوع إلى بعض كتب اللغة والمعاجم.

٦- إثبات جميع المصادر والمراجع مرتبة بحسب حروف الهجاء.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة وتشتمل على:

١ - أهمية الموضوع.

٢ - أسباب اختيار الموضوع.

٣ - الدراسات السابقة.

٤ - منهجي في البحث.

٥ - خطة البحث.

التمهيد وفيه: التعريف بالتفسير الموضوعي

المبحث الأول: دلالة كلمة العزة في اللغة والقرآن، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: حقيقة "العزة" في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: وورد كلمة " العزة " في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: العزة الممدوحة في القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العزة باعتبارها صفة لله تعالي على ما يليق بجلاله وجماله وكماله.

المطلب الثاني: العزة صفة القرآن الكريم.

المطلب الثالث: عزة رسول الله ﷺ والاقتداء به فيها.

المطلب الرابع: العزة باعتبارها وصفاً للمؤمنين.

المبحث الثالث: عزة المؤمنين المقيدة بزمام الشرع وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اعتزاز المنافقين بالكفار من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب على المسلمين.

المطلب الثاني: الاعتزاز بالأصنام والأوثان والأموات.

المطلب الثالث: الاعتزاز بالقبيلة والرهط.

المبحث الرابع: طرق تحصيل العزة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق العبودية لله تعالي.

المطلب الثاني: تحصيل العلم طريق العز.

المطلب الثالث: عزة الأمة الإسلامية بدعوتها.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد

التعريف بالتفسير الموضوعي:

"التفسير الموضوعي" اصطلاح شاع على ألسنة العلماء والدارسين وصار عنواناً للون جديد من ألوان التفسير.

أولاً: تعريفه باعتباره مركباً وصفياً هو:

"علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع"[(١)].

ثانياً: أما تعريفه كفن مدون فقد تعددت تعاريف الباحثين المعاصرين له ومن أهم هذه التعاريف:

١ - هو الذي تجمع فيه قضايا القرآن وتفسر تفسيراً علمياً على أساس الموضوع وتدون في بحث مفرد أو كتاب جامع على نمط موسوعات التفسير التحليلي بحيث يرجع الباحث إلى الموضوع الذي يريده ويعرف موقف القرآن منه في سهولة ويسر[(٢)].

٢ - بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة أو سور متعددة.

٣ - هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.

* ولعل التعريف الأخير هو الأرجح لخلوه عن التكرار، والتعاريف السابقة يغلب عليها طابع الشرح والتوضيح لمنهج البحث في التفسير الموضوعي[(٣)].

---

(١) المدخل إلى التفسير الموضوعي د/ عبد الستار فتح الله سعيد/ ص: ٢٠ / دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٢) المرجع السابق ص: ٢١.

(٣) مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مصطفى مسلم، ص: ١٦ (بتصرف) / دار القلم، دمشق.

المبحث الأول
دلالة كلمة العزة في اللغة والقرآن

المطلب الأول: حقيقة "العزة" في اللغة والاصطلاح.

أولاً: تعريفها في اللغة:

تدل مادة "العين والزاي" في اللغة على معنى القُوَّةُ والشِّدَّةُ، والغَلَبَةُ والرِّفعةُ والامتناع. يقال: عَزَّ يَعَزُّ - بالفتحِ للمضارعِ-: إذا اشتَدَّ وقَوِيَ، وبالكسر للمضارعِ: إذا قَوِي وامتنع، وبالضَّمِّ: إذا غَلَب وقَهَر. ويقال: عزَّ فلانٌ، أي: صار عزيزًا، أي: قوِيَ بعدَ ذِلَّةٍ ورجلٌ عزيزٌ: منيعٌ لا يُغلَبُ ولا يُقهَرُ. وعزَّ الشَّيءُ: إذا لم يُقدَرْ عليه. فهذه المادَّةُ في كلامِ العَرَبِ لا تخرُجُ عن معانٍ ثلاثة:

أحدُها: بمعنى الغَلَبة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ**﴾[1]، والثَّاني: بمعنى الشِّدَّةِ والقُوَّة ومنه قوله تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ**﴾[2]، والثَّالثُ: أن تكونَ بمعنى نفاسةِ الشيء وعلو قدره[3].

ثانيًا: تعريفها في الاصطلاح:

عرفها العلماء بعدة تعريفات:

---

(١) سورة ص: ٢٣.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

(٣) العين باب العين والزاي للخليل بن أحمد (المتوفى: ١٧٠هـ) (١/ ٧٦)؛ دار ومكتبة الهلال، وتهذيب اللغة باب العين والزاي؛ لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) (١/ ٦٤) (بتصرف) / دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

الأول: العِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنسان من أن يُغلب[1].

الثاني: العِزَّةُ: التَّأبي عن حَملِ المذَلَّةِ، والتَّرفُّعُ عمَّا تلحقُه غضاضة[2].

- يتبين لنا بعد عَرْضِ كُلٍّ من التعريفين اللغوي والاصطلاحي ارتباطًا وثيقًا بينهما حيث إن المعنى الاصطلاحي يعنى أن العزة حالة تعتري الإنسان تمنعه من غلبة غيره عليه وهذا مرتبط بمعنى العزة في اللغة التي هي الشدة والقوة والغلبة والقهر.

- لابد أن يجتمع في العزة عدة أمور منها: القوة الإيمانية والجسدية والعلمية، والقناعة، والسير على وفق ما أراده الله تعالي.

(١) المفردات في غريب القرآن مادة "عز" لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) (ص: ٥٦٣) - دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت/ الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

(٢) معجم مقاليد العلوم للإمام لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) (ص: ٢٠٣) - مكتبة الآداب- القاهرة / مصر- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

المطلب الثاني: وورد كلمة " العزة " في القرآن الكريم.

وردت كلمة "العزة" في القرآن الكريم بصيغ مختلفة منها:

١- الفعل الماضي ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[(١)].

٢- الفعل المضارع ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾[(٢)].

٣- المصدر ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾[(٣)].

٤- الصفة المشبهة ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾[(٤)].

٥- أفعل التفضيل ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾[(٥)].

٦- الاسم ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(٦)].

---

(١) سورة يس: ١٤.

(٢) جزء من آية (٢٦) سورة: آل عمران.

(٣) جزء من آية (١٣٩): سورة: النساء.

(٤) سورة البقرة: ٢٠٩.

(٥) سورة هود: ٩٢.

(٦) سورة المائدة: ٥٤.

وجاءت كلمة "العزة" في الاستعمال القرآني على عدة أوجه منها(١):

١ – المنْعَة قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾(٢) أي: منيعاً.

٢ – العظمة قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾(٣) أي: فبعظمتك.

٣ – الحَمِيّة قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾(٤).

٤ – الغلظة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٥).

٥ – الشدة ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧﴾(٦).

٦ – القوة ومنها قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾(٧).

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) (ص: ٤٣٤) – مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٢) سورة النساء: ١٥٨.

(٣) سورة ص: ٨٢.

(٤) سورة ص: ٢.

(٥) سورة المائدة: ٥٤.

(٦) سورة فاطر: ١٧.

(٧) سورة يس: ١٤.

المبحث الثاني
العزة الممدوحة في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العزة باعتبارها صفة لله تعالي على ما يليق بجلاله وجماله وكماله.

المطلب الثاني: العزة صفة القرآن الكريم.

المطلب الثالث: العزة باعتبارها وصفاً للرسول ﷺ.

المطلب الرابع: العزة باعتبارها وصفاً للمؤمنين.

العزة الممدوحة هي: التي ترتبط بالله تعالي ورسوله ﷺ فيعتز المرء بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع الإهانة؛ فالمسلم العزيز أعزه مولاه حين أحسن اللجوء لجنابه، وأرغم أنفه على بابه فامتلأت روحه باليقين، واستمكن الإيمان قلبه، فأضفى عليه قوة انطبعت في سلوكه كله(١).

المطلب الأول: العزة باعتبارها صفة لله تعالي على ما يليق بجلاله وجماله وكماله

عرض القرآن الكريم لنا موضوع العزة بأسلوب مميز تطرق فيه إلى نواحٍ مختلفة منها:

وصف الله سبحانه بالعزة في آيات عديدة من القرآن الكريم منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾(٢)، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾(٣)، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾(٤)، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾(٥).

فالعزة صفته تعالي، فهو صاحب العزة وهو العزيز في ذاته، والمعز لغيره جل وعلا.

والعزيز في أسماء الله تعالي ينتظم في معان عدة:

١- هو الممتنع فلا يغلبه شيء، ولا يحتاج إلى غيره فهو بذاته الغني عن العالمين.

---

(١) العزة مصادرها وأسبابها لمحمد بن عبد الله الهبدان (ص: ١٥)، (بتصرف) دار الوطن: ط: ١-٢٠٠١م.

(٢) سورة يونس: ٦٥.

(٣) سورة فاطر: ١٠.

(٤) سورة الصافات: ١٨٠.

(٥) سورة الحشر: ٢٣.

٢- هو القوي الغالب لكل شيء .

٣- هو الذي ليس كمثله شيء .[١]

- واسم الله "العزيز" وصف قوة واقتدار وغلبة وسيطرة ولذلك يقترن بما يقاربه في المعنى من الأسماء، مثل: القوي، والمقتدر؛ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾[٢]، ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾[٣].

- كذلك يقترن بما يدل على الكمال المطلق المنزه عن النقص؛ فيقترن بالحكيم والعليم؛ ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾[٤]، ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾[٥] وذلك أن عزة الله دالة على حكمته وعلمه فإن العزيز الممتنع يدبر أمر السماوات والأرض وجميع خلقه على مقتضى حكمته وعلمه.

- ويقترن أيضاً بالغفور، والرحيم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾[٦]، ﴿رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٦٦﴾﴾[١].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) (١٠/٣٤) (بتصرف) - ط: دار الثقافة العربية.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٥.

(٣) سورة القمر: ٤٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٠٩.

(٥) سورة يس: ٣٨.

(٦) سورة الشعراء: ٢١٧-٢١٨.

- ويقترن باسم الله الوهَّاب، (ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﮮ ﮯ ﮰ)[٢].

- وجاء مقترنًا باسم الله الحميد (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ)[٣].

فالله عزوجل هو المعز الحقيقي لمن يشاء إعزازه من البشر بما يُهيِّأ له من الأشياء المؤدية إلى العزة؛ كالقوة، وكثرة الأعوان، ونفاذ الكلمة وغير ذلك من الصفات التي تجعل الحاصل عليها عزيزا[٤]. فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر، ويدخل دار العزة "ولله العزة" فليقصد بالعزة " الله سبحانه" والاعتزاز به، فإنه من اعتز بالعبد أذله الله، ومن اعتز بالله أعزه الله[٥].

ومن أعظم الأمثلة على عزة الله تعالي لأوليائه: تمكينه ﷻ لسيدنا موسى عليه السلام في الأرض؛ وتلك هي سنة النصر والتمكين لعباده المؤمنين ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾[٦].

=

(١) سورة ص: ٦٦.

(٢) سورة ص: ٩.

(٣) سورة البروج: ٨.

(٤) العزة مصادرها وأسبابها (ص: ١٥) (بتصرف) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) (١٤/ ٣٢٩) - دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

(٦) سورة الشعراء ٦٣- ٦٦.

المطلب الثاني: العزة صفة القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١﴾[1].

فالقرآن الكريم عزيز من وجهين:

أحدهما: أن الكتب التي تقدمت لا تبطله وَلَا يأتي بعده كتابٌ يُبْطِلُه ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾[2].

والوجه الثاني: أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه[3]؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١﴾[4].

فمن مظاهر عزة القرآن:

١ - أنه يعز وجود مثله، بل لا مثيل له على الإطلاق ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾[5]؛ ولذا تحدى الله تعالى البشر أن يأتوا بمثله، وظل هذا التحدي قائماً طوال القرون الماضية، وسيظل إلى رفع القرآن[6] ...

---

(١) سورة فصلت: ٤١.

(٢) سورة آل عمران: ٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) (٣٨٨/٤) - عالم الكتب - بيروت- الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٤) سورة فصلت: ٤٢.

(٥) جزء آية: ٤١ من سورة فصلت.

(٦) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «لَيُسْرَيَنَّ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَلَا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مُصْحَفٍ، وَلَا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إِلَّا رُفِعَتْ» (أخرجه الإمام الدارمي في مسنده، كتاب: فضائل القرآن، باب: تعاهد القرآن (٦٠٢١/٤) ح (٣٣٨٦) - دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م

في آخر الزمان[1]. ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾[2].

٢ - أنه مستعصٍ على المحو والإزالة والتبديل والتحويل والتحريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[3]، ولقد حاول أعداء القرآن أن يمحوه من الصدور بقتل حملته من القراء والحفاظ، وبحرق نسخه، وتكرر ذلك في حُقب التاريخ البشري.

٣ - أنه معجز في تركيبه وبيانه، وفي جمله وآياته، كما أنه معجز في علومه وأخباره؛ فأخبر عن بداية الخلق ونهايته، وأخبر عن أحوال الأمم الماضية، وعن أحوال القيامة، وأشار إلى جملة من علوم الدنيا التي لم تكتشف وقت تنزله، فيما يتعلق بالطب والفلك وعلوم الأرض والبحار وغيرها من العلوم التي كُشفت للبشر بعد نزوله بقرون، فلم يكن في أخباره وآياته وإشاراته ما يخالف الحقائق الحديثة المكتشفة، بل كانت كل حقيقة تتواءم مع آياته، مما أدهش كثيراً من علماء الغرب، فقادهم ذلك إلى الإسلام، ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو مكابر، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾[4].

٤ - أن من تسلح بآياته عن فهم ومعرفة وإدراك فإنه لا يُغلب في مناظرة ولا يُهزم في مجادلة؛ لأن أدلته أقوى الأدلة، وبراهينه أعز البراهين، وأمثلته أوضح الأمثلة، وتجد في

---

(١) إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) (٢٠٦/١) (بتصرف) - دار المعارف – مصر - الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

(٢) سورة الطور٣٣-٣٤.

(٣) سورة الحجر: ٩.

(٤) سورة فصلت: ٥٣.

القرآن الاستدلالات العقلية الكثيرة على وجود الله تعالى وكماله، وعلى خلقه وتدبيره، وعلى البعث والنشور والقيامة، وعلى كل أمر يحتاج إثباته إلى دليل عقلي[1]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾[2].

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) (٢/٢١٤-٢١٣) (بتصرف) - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطبعة: الثالثة.

(٢) سورة البقرة: ١٦٤.

المطلب الثالث: عزة رسول الله ﷺ والاقتداء به فيها.

- العزة من أعظم ما اتصف به رسول الله ﷺ من أخلاق، وقد دلَّ على ذلك مواقفه وكلماته في المواقف المختلفة.

- ويجدر بنا قبل الحديث عن العزة في حياة النبي ﷺ أن نوضح إشكالاً وهو: كيف تكون العزة لله في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[1] ثم تكون لرسوله ﷺ والمؤمنين ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]؟

والحقيقة أنه: لا تنافي بين الآيتين؛ لأنَّ العزّ الذي هو للرسول ﷺ والمؤمنين هو في الحقيقة ملك لله ومخلوق له، وعزّه سبحانه هو المصدر لكلِّ عزّ، ومن ثَمّ يكون عزّ الرسول ﷺ والمؤمنين مستمدّاً من عزّ الله ﷻ. وعلى هذا فالعزُّ كلُّه لله، والعزّة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلاّ إذا استظلّت بظلّ الله، واحتمت بحماه[3].

*** مواقف من عزة الرسول ﷺ:**

(١): كان رسول الله ﷺ عزيزًا في حياته قبل الإسلام وبعده، فقد كانت عزة نفسه تأبى عليه أن يسجد لحجرٍ لا يضر ولا ينفع، كما كانت تمنعه من أن يأتي ما اعتاده قومه من الفواحش كالكذب والغش والخيانة والزنا وشرب الخمر، فلم يُعرف عنه ﷺ أنه سجد لصنم، كما لم يذبح لها، وكان يبتعد عن الكهان والعرافين، ولم يرد في سيرته ﷺ أنه استمع

---

(١) جزء من آية / ١٠ سورة فاطر.

(٢) جزء من آية / ٨ سورة المنافقون.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) (٣٤٦/١١) (بتصرف) - دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

لأحد منهم.

(٢): وبعد الإسلام كانت كل مواقفه ﷺ تنطق بالعزة المنزهة عن الكبر والفخر والخيلاء، ومن هذه المواقف:

*** عزته ﷺ في حمل الرسالة:**

- فقد جاء وفد من كفار قريش لعمّ رسول الله ﷺ أبي طالب يستنكرون على رسول الله، فعن عَقِيل بْن أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَجْلِسِنَا، فَانْهَهُ عَنْ إِيذَائِنَا، فَقَالَ لِي: يَا عَقِيلُ، ائْتِ مُحَمَّدًا فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ كِبْسٍ - قَالَ طَلْحَةُ: بَيْتٌ صَغِيرٌ - فَجَاءَ فِي الظُّهْرِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، فَجَعَلَ يَطْلُبُ الْفَيْءَ يَمْشِي فِيهِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الرَّمْضَاءِ فَأَتَيْنَاهُمْ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَجْلِسِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ، فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «مَا تَرَوْنَ هَذَا الشَّمْسَ؟ » قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً»، قَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَبَنَا ابْنُ أَخِي قَطُّ فَارْجِعُوا»(١).

*** عزته ﷺ بعبادته لربه ﷻ:**

كان ﷺ يتحمل الأذى من المشركين، ومأمورًا بالصبر عليهم والإعراض عنهم، ولكنه مع ذلك كان عزيزاً لا يرضى الله له المهانة، وعندما تجرأ كفار قريش عليه ﷺ دعا عليهم عند الكعبة، فخافوا دعوته، وكان دعاؤه ﷺ من نصيبهم، فقتُلوا جميعًا يوم بدر.

" عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩١/١٧) رقم (٥١١)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد، ط/ مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الثانية. قال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٧/ ٢٥١): "هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ".

جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» - وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ - فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ"[(١)]

*** عزة الرسول ﷺ في قتال المشركين:**

- ففي غزوة أحد عَصَى أحد الرماة أمر رسول الله ﷺ فوق جبل أحد، فانقلبت الدائرة علي المؤمنين، وصعد رسول الله فوق جبل أحد، وأشرف أبو سفيان فقال: " أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاَءِ، فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ، قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي القَوْمِ مُثْلَةً،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة (٤٣/٤) رقم (٢٩٣٤)، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر/ دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ "، قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ؟ »، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ» "[1].

- فكانت العزة خُلقاً من أخلاق الرسول ﷺ، والتي ظهر منها ما ينبغي أن تكون عليه عزة المسلم في حمل عقيدته وتبليغ رسالة ربه وافتخاره بما يحمله من مشروع سماوي فيه صلاح العباد والبلاد، كل ذلك من غير فخر ولا استعلاء على خلق الله.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلاَفِ فِي الحَرْبِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ، (٦٥/٤) رقم (٣٠٣٩) .

المطلب الرابع: العزة باعتبارها وصفًا للمؤمنين.

العزة خُلق رفيع من أخلاق المؤمنين فلا يعقل أن يكون المرء مؤمنـًا حق الإيمان وفي الوقت ذاته غير عزيز؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾[1].

" أخبر تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة أنهم إن ارتد بعضهم فإن الله يأتي عوضـًا عن ذلك المرتد بقوم من صفاتهم الذل للمؤمنين، والتواضع لهم ولين الجانب والقسوة والشدة على الكافرين، وهذا من كمال صفات المؤمنين "[2].

ومن الآيات الدالة على أن العزة من أخلاق المؤمنين قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾[3].

فيجب على المؤمنين الثبات على ما هم عليه من العزة وعدم التخلي عنها في أي ظرف من الظروف، فالله ﷻ يربيهم على معاني العزة ويغرسها في قلوبهم؛ قال تعالى﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) (٤١٥/١) – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

(٣) سورة المنافقون: ٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٩.

واقتضت حكمة الله تعالي أن من اعتز به سبحانه تعالي وبرسوله ﷺ وبدين الإسلام أعزه الله ﷻ، ولهذا حصر الله تعالي العزة الحقيقية في كونها لله تعالي ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[1].

*** من مظاهر عزة الصحابة رضوان الله عليهم:**

١- الشعور بالرفعة والاعتزاز في موطن الذل، فهذا خباب بن الأرت؛ أستاذ فن الفداء والتضحية.

أخذ مكانه العالي بين المعذبين والمضطهدين الذين وقفوا برغم فقرهم، وضعفهم يواجهون كبرياء قريش وعنفها، وغرسوا في قلوبهم سارية الراية التي أخذت تخفق في الأفق الرحيب ناعية عصر الوثنية، والقيصرية.. مبشرة بأيام المستضعفين والكادحين، الذين سيقفون تحت ظل هذه الراية سواسية مع أولئك الذين استغلوهم من قبل، وأذاقوهم الحرمان والعذاب، وفي استبسال عظيم، حمل خبّاب تبعاته كرائد..

" لقد صبر خبّاب، ولم تلن له أيدي الكفار قناة، فجعلوا يلصقون ظهره العاري بالرضف حتى ذهب لحمه"[2]

٢- سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ:

بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة أسلم عمر بن الخطاب - ﷺ -، وكان إسلامه حدثًا كبيرًا في مكة، ونصرًا عظيمًا للإسلام؛ فأسلم في الوقت الذي عزم فيه على الذهاب لقتل

---

(١) سورة فاطر: ١٠.

(٢) رجال حول الرسول لخالد محمد خالد ثابت (المتوفى: ١٤١٦هـ) (ص: ١٦٩) - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

الرسول ﷺ فأراد الله به الخير فأسلم، ولذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»(١).

٣- سيدنا جعفر بن أبي طالب مع النجاشي:

لما هاجر جعفر - رضي الله عنه - وبعض المسلمين المستضعفين إلى الحبشة، قرر كفار مكة إرسال رجلين منهم، وهما عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، فذهبا وأخذا معهما هدايا كثيرة للنجاشي وكبار القوم عنده، فلما وصلا إلى الحبشة والتقيا بالنجاشي وسمع منهما، استدعى النجاشي المسلمين الذين أتوا إلى بلده مهاجرين. "عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَعْفَرٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُرْفُطَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَبُو مُوسَى، فَأَتَوْا النَّجَاشِيَّ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ، ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَا لَهُ: إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمِّنَا نَزَلُوا أَرْضَكَ، وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا، قَالَ: فَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ فِي أَرْضِكَ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ فَاتَّبَعُوهُ، فَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْجُدْ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟ قَالَ: إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ عز وجل، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عز وجل بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ ﷺ، وَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ عز وجل، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ "(٢).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، (١٣٤٨/٣) رقم (٣٤٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٠٨/٧) رقم (٤٤٠٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ٤٤١): فيه حديج بن معاوية وثقه أبو حاتم وقال: في بعض حديثه ضعف، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات.

المبحث الثالث

عزة المؤمنين المقيدة بزمام الشرع

المطلب الأول: اعتزاز المنافقين بالكفار من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب على المسلمين.

إن انطماس البصيرة وذهاب نور الهداية على ضعاف الإيمان من هذه الأمة جعلهم يبحثون عن إعزاز أنفسهم بتبعية المقيتة[1] من أذناب القردة والخنازير.

ذهبوا يبحثون عن اللؤلؤ في صحراء مقفرة، فرجعوا صفر اليدين، ضلوا الطريق وما علموا أن مطلبهم جد نفيس يُطلب من مصدره، وقد وصف هؤلاء رب العزة ﷻ فقال: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۙ ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾[2].

وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين؛ والحال أن العزة لله جميعاً أي: الذي له العزة والمنعة، يُعِزّ من يشاء ويذل من يشاء، فيعزُّهم ويمنعهم.

والمقصود من هذا: التهييج على طلب العزة من جناب الله، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة[3] .

---

(١) المَقْتُ بغض من أمر قبيح ركبه، فهو مَقيتٌ، وقد مقت إلى الناس مَقاتةَ، ومَقَتَه الناس مَقْتًا فهو مَمْقُوتٌ والمُقيتُ: الحافظ للشيء. (كتاب العين (٥/ ١٣٢) لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) – الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٢) سورة النساء ١٣٨-١٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) (٢/ ٤٣٥) – الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

لئن كان المنافقون في كل زمان ومكان يوالون الكافرين ويحبونهم وينصرونهم على المؤمنين فإن قدوتهم في ذلك هو رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول عليه من الله ما يستحقه، فقد انحاز إلى أشد الناس عداوة للمؤمنين وهم اليهود في أكثر من موقف، فحين تمكن الغيظ من قلوب يهود بني النضير نتيجة ما من الله به على المؤمنين من نصر وعز وتمكين وكادوا للإسلام وأهله، وظهرت رغبة النبي عليه الصلاة والسلام في معاقبتهم على خيانتهم وكيدهم وإظهار العداوة للمسلمين، أرسل إليهم ابن سلول: يقول

"اثبتوا وتمنعوا، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم[1]، وفيهم أنزل الله – تعالى –: ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾[2].

فأهل النفاق يوالون الكفار طمعاً فيما عندهم من دنيا كما قال الله عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[3].

إن الاعتزاز بغير الله تعالي وموالاة غير المؤمنين ليشكل خطراً على الأمة إذ لم يستطع الأعداء الدخول بالحرب العسكرية فأعدوا الخطط المدروسة في إضعاف قوة المسلمين

---

(١) الروض الأنف لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) (٤/ ٢١٦) (بتصرف) – دار إحياء التراث العربي، بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) سورة الحشر: ١١.

(٣) سورة النساء: ١٤١.

باستخدام المسلم نفسه فجعلوا بعضاً من ضعاف اليقين والإيمان أداة تُرَّوج وتبث سمومهم في هذا الجسد؛ وهم من جلدتنا ويتكلمون بكلامنا ويحملون اسم الإسلام وهم في الحقيقة معَّول هدم وليس أداة بناء[1] .

أمّا عزّة الكفّار المشار إليها في الآية الكريمة: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝﴾[2]، فهي تعزُّز، وهو في الحقيقة ذلٌّ؛ لأنّها تشبّع من الإنسان بما لم يعطه[3].

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لسعد الدين السيد صالح (ص: ١١١-١١٥) – دار الأرقم ١٩٨٩م- ص: ١١١.

(٢) سورة ص: ٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٦٣) (بتصرف يسير) .

المطلب الثاني: الاعتزاز بالأصنام والأوثان والأموات.

إن انتكاس الإنسان عن نهج الفطرة السوية القائمة على الوحدانية لهو الذل والهوان قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[1].

بهذا التصوير القرآني الفريد يصف الله ﷻ من اعتزَّ بغيره وذل لغير سلطانه؛ فقد استسمك بضعيف، ولاذ بفقير يرجوه ويخافه، فأي ظلام يعيش فيه هؤلاء؟ وأي سبيل طرقوه؟ .

" يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن من أشرك بالله غيره ومات ولم يتب من ذلك فقد وقع في هلاك، لا خلاص منه بوجه ولا نجاة معه بحال، لأنه شبهه بالذي سقط من السماء إلى الأرض، فتمزقت أوصاله، وصارت الطير تتخطفها وتهوي بها الريح فتلقيها في محل بعيد لشدة هبوبها بأوصاله المتمزقة، ومن كانت هذه صفته فإنه لا يرجى له خلاص ولا يطمع له في نجاة، فهو هالك لا محالة ؛ لأن من خر من السماء إلى الأرض لا يصل الأرض عادة إلا متمزق الأوصال، فإذا خطفت الطير أوصاله وتفرق في حواصلها، أو ألقته الريح في مكان بعيد فهذا هلاك محقق لا محيد عنه"[2] .

ميَّز الله تعالى الإنسان وكرمه على غيره من المخلوقات، وسخر له من النعم ما ظهر منها وما بطن، وفطره على فطرة نقية سليمة، ومع ذلك وجدنا كثيراً من الناس انحرفوا عن طريق الفطرة، وأبواْ إلا الضلال، واتبعوا الشيطان، وعبدوا الأصنام بشتى أنواعها، وجميع

---

(١) سورة الحج/٣١.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن (٥/٢٥٦) (بتصرف يسير) .

أصنافها.

لقد عبدت طوائف من العرب الأصنام التي انتقلت إليهم من الأمم السابقة مثل: ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، والتي كانت في قوم نوح، وانتشرت عبادة تلك الأصنام بين القبائل العربية، كما دل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (صَارَتْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ)[1] . وكانت العرب تعبد إضافة إلى تلك الأصنام أصنام قريش كاللاَّت، والعزَّى، ومناة، وهبل.

بل يبلغ السوء بهم عندما تنقلب عليهم معبوداتهم التي عبدوها في الدنيا وبالاً عليهم في الآخرة ﴿**وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾**﴾[2]، فقد عبد هؤلاء الأصنام وغيرهم لتقربهم إلى الله زلفى ويكونوا شفعاء لهم عند الله تعالي، فوقع لهم خلاف ما ظنوا وكانت هذه المعبودات من دون الله تعالي ضداً عليهم حينما رجوا منهم العزة وجدوا الذلة والصغار.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب تفسير سورة نوح، (٤/ ١٨٧١) رقم (٤٦٣٦) .

(٢) سورة مريم ٨١-٨٢.

المطلب الثالث: الاعتزاز بالقبيلة والرهط.

١- تتجلى هذه الصورة واضحة عند الحديث عن سبب نزول قوله تعالى: (ئا ئه ئو ئو)[(١)]؛ نزلت في أبي جهل - عليه من الله ما يستحق -، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟! فَانْصَرَفَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَزَبَرَهُ[(٢)]، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرَ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾[(٣)]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.[(٤)]

٢- وأيضًا سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾[(٥)]. نَزَلَتْ فِي حَيَّيْنِ تَفاخَرُوا أَيُّهم أَكْثَرُ عَدداً وَهُمْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ وبنو سَهْم فكَثَرَتْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ بَنِي سَهْمٍ، فَقَالَتْ بَنُو سَهْمٍ: إِن البَغْيَ أَهلكنا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فعادُّونا بالأَحياء والأَموات. فكَثَرَتْهم بَنُو سَهْم، فأَنزل اللهُ تَعَالَى: أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ .[(٦)]

فالتعصب للقبيلة أو الافتخار بالنسب ولا سيما إذا تضمن الاستعلاء على الآخرين فهو مذموم؛ فالنَّبي ﷺ قَالَ: " أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ،

---

(١) سورة العلق ١٧-١٨.

(٢) أي: زجره وانتهره. (العين ٣٦٣/٧)

(٣) سورة العلق ١٧-١٨.

(٤) أسباب النزول لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) (ص: ٤٦٠) - دار الإصلاح - الدمام- الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

(٥) سورة التكاثر ١-٢.

(٦) أسباب النزول (ص: ٤٦٤) (بتصرف يسير) .

وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ "[1] .

ولا خلاف بين العلماء في منع النداء برابطة غير الإسلام، كالقوميات والعصبيات النسبية، ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية، فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضاً باتاً، على أن يعتاض من ذلك روابط عصبية قومية... وقد بين الله جل وعلا في محكم كتابه: أن الحكمة في جعله بني آدم شعوباً وقبائل هي التعارف فيما بينهم، وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره، وكل قبيلة على غيرها[2]؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[3] .

* ومن صور الاعتزاز المذموم:

١- الاعتزاز بالآباء والأجداد الذين ماتوا على الكفر؛ على اعتبار أن بينهم وبين الجيل المسلم نسباً وقرابة.[4]

٢- الاعتزاز بالجاه والمنصب: فعندما يفقد الإنسان مصدر القوة الحقيقي نراه يتعزز بكل ضعيف بحثاً لإشباع حاجة الفطرة من الأمن؛ فيتعزز بعرض من زينة الحياة الدنيا كالجاه والمنصب، وينحني على أبواب الملوك اعتزازاً بقوتهم، متناسياً ما فعله الله العزيز الجَّبار

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري، كتاب: الجنائز، باب: التشديد في النياحة، (٦٤٤/٢) رقم (٩٣٤) ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٤٥/٣-٤٤) (بتصرف يسير) .

(٣) سورة الحجرات ١٣.

(٤) العزة مصادرها وأسبابها (ص: ١٧) .

في قارون وهامان وفرعون الذين خلت ديارهم وانقضت دولهم؛ فقوم فرعون لما اعتزوا بجنابه ولاذوا بحماه طلبًا للرفعة والمال والقرب من السلطان ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]؛ أخزاهم الله تعالي وأراهم غلبته وانتقامه، ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2] .

٣- التعزز بالإثم والتكبر عن قبول الحق: هذا المعنى وما في مثله أرشد إليه الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[4] كان حُيي بن أخطبٍ وأخوه ممَّن عَلِموا صدق النبي ﷺ لكنَّهما لم يُسلِما عنادًا واستكبارًا، وتَحكي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنها - عن ذلك فتقول: " كُنْتُ أَحَبَّ وَلَدِ أَبِي إِلَيْهِ وَإِلَى عَمِّي أَبِي يَاسِرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ غَدَوْا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَا مِنَ الْعَشِيِّ، فَسَمِعْتُ عَمِّي يَقُولُ لأَبِي: أَهُوَ هُوَ، قَالَ: نَعَمْ وَاللهِ، قَالَ: أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ؟ قَالَ: عَدَاوَتُهُ وَاللهِ مَا بقيت"[5].

---

(١) سورة الشعراء: ٤٤.

(٢) سورة الشعراء: ٤٥-٤٨.

(٣) سورة الأنعام: ٣٣.

(٤) سورة الزخرف: ٣١.

(٥) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٥١٧/١) قال: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ قَالَ حُدِّثْت عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ. والحديث بهذا الإسناد - منقطع - لأن =

وذكر الله تعالي في كتابه الكريم وصف وجزاء المتكبر على الحق والممتنع من قبوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[1]. فالمذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين هذا في الدنيا؛ وفي الآخرة سوف يصليهم الله جهنم وساءت مصيراً[2]. وتاريخ الأمم السابقة شاهد على أن من يُغالب الله ﷻ يغلب؛ ومن اعتز بغيره تعالي ذل وهان[3].

=

عبد الله بن أبي بكر بن حزم روى عن مجهول - الواسطة بينه وبين صفية -.

(١) سورة البقرة/٢٠٦.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) (٥٤٣/٤) - دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

(٣) العزة مصادرها وأسبابها (ص: ١٥) .

المبحث الرابع
طرق تحصيل العزة

المطلب الأول: تحقيق العبودية لله تعالى.

كل ما في السماوات والأرض محتاج إلى خالقه عزوجل لكونه المالك المدبر الخالق الذي اتصف بصفات الكمال والجمال، ولا يستطيع أي إنسان إنكار ذلك ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

ومن المعلوم أن الغاية من خلق الثقلين، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب هي عبادته سبحانه وتعالي المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليه، فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه، تعالى الله الغني المغني عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق، فقراء إليه، في جميع حوائجهم ومطالبهم الضرورية وغيرها[2]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[3].

وهذا يقودنا إلى تفهم أنواع العبادة المرجوة من العباد تجاه ربهم وخالقهم؛ إنها شاملة يتحقق فيها معنى العبودية التي يريدها الله منهم ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) سورة الطور ٣٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) (ص: ٣١٣) – مؤسسة الرسالة– الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

(٣) سورة الذاريات ٥٦–٥٨.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

فالعبودية لله تعالى عِزٌّ وشرف يستحقه كلُّ من أتى بها على وجه التمام والكمال، وليس شيء أشرف ولا أتمّ للمؤمن من الوصف بالعبودية، وبهذه العبودية تُكتسب الحرية، وتكون العزة والرفعة، إذا أحسن المرء العبادة وأخلصها ترقى في درجات الكمال الإنساني وأصبح لحياته قيمة، وصار لعمله لذة. وصدق الله القائل: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾[2].

* ومن مظاهر العزة في تحقيق العبودية:

١ - عدم التطلع إلى ما عند الغير من بهجة الحياة الدنيا وزينتها والاستغناء بالله عن الخلق؛ لأن هذا عرض من الدنيا زائل والمؤمن مأمور بالعمل لما هو أبقى، فقد نهى الله نبيه ﷺ عن النظر لبهجة الحياة الدنيا[3]؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[4].

٢ - طلب الرزق من الرزّاق: فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ

---

(١) سورة الأنعام ١٦٢-١٦٣.

(٢) جزء آية ١٣٩ من سورة النساء.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (٤٠٣/١٨).

(٤) سورة طه/١٣١.

قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[1].

(١) جامع الإمام الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، والحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه؛ أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ (٦٦٧/٤) ح (٢٥١٦)، وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

المطلب الثاني: تحصيل العلم طريق العز.

من المعلوم أن العبد لا يستطيع القيام بعبادة الله ﷻ على وجه الصواب إلا عن طريق العلم النافع والعمل الصالح وهما طريق العزة؛ لأن الجهل بأمور الدين يورث الذلة والمهانة، والإسلام يريد من أتباعه أن يكونوا سادة وقادة، وهذا لا يأتي إلا بطرق العز من بابه الثاني وهو العلم النافع.

إن طبيعة الإسلام تفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أُمة مثقفة واعية، لذا لم يكتف القرآن الكريم ببيان شرف العلم وفضله، وهذا في حد ذاته كفيل بحمل الناس على طلب العلم وتحصيله، وإنما دعاهم إلى ذلك تارة على سبيل الإلزام وتارة على سبيل الندب حسب نوع العلم وموضوعاته، وفي الوقت ذاته نهاهم عن بعض ضروب العلم الضارة.

والعلم النافع الذي يحقق التزكية: هو كل علم يُقرب من الله تعالي ويزيد الخشية منه ويدفع إلى العمل الصالح.

إن العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة مالا يرفعه المُلك ولا المال ولا غيرهما فالعلم يزيد الشريف شرفًا ويرفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك[1] كما ثبت في الصحيح: " عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ ﷻ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) (١/ ١٦٤) – دار الكتب العلمية – بيروت.

أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ"[1].

وجعل الله العلماء ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم العلم فهم يحملونه في صدورهم ويحققونه في أعمالهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾[2].

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي، أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ، قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[3].

فتحصيل العلم النافع المستنير بهدي الله تعالي وهدي رسوله ﷺ من طريق العز، وهو الحصن المنيع والسد القويم في حفظ أبناء هذه الأمة من حملات التغريب والإلحاد.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن (٥٥٩/١) رقم (٨١٧) ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) جزء آية: ٢٨ من سورة فاطر.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب: العلم، بَابُ الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، (٣١٧/٣) رقم (٣٦٤١)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت. وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الكبرى (١/ ٢٨٠): "قَالَ أَبُو بكر الْبَزَّار – وَذكر طرفا من هَذَا الحَدِيث –: لَا نعلم هَذَا الحَدِيث يرْوى عَن رَسُول الله ﷺ بِهَذَا اللَّفْظ إِلَّا من هَذَا الْوَجْه، وَإِسْنَاده صَالح، وَدَاوُد ابْن جميل وَكثير بن قيس لَا نعلمهما معروفين فِي غير هَذَا الحَدِيث".

* صور من عزة العلماء:

١ – سيدنا سليمان عليه السلام: أعطاه الله الملك الواسع والسلطان العظيم بحيث لم يؤت أحد مثلما أوتي، ولكنه أُعطي قبل ذلك عطاء أعظم وأكرم هيأه لأن يكون شخصية فريدة متميزة في التاريخ؛ لقد أُعطي النبوة، ومُنح العلم، وأُوتي الحكمة وذلك مثلما أعطي أبوه من قبل[١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾[٢].

٢ – سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان شديد الحرص على التمسك بهدي رسول الله ﷺ، وظهر فيه سمة العلماء منذ صغره، وقد قال له النبي ﷺ: "إنك غلام معلم"، نرى هذا العالم الرباني تأبي عليه عزته إلا أن يسمع قريش ما يغيظها، وهو في ذلك الضعيف الفقير، ولكن رواد المدرسة المحمدية تربوا على الشموخ والعز ولو كانوا بين أظهر الكفار وهم أكثر عدداً، فكان – رضي الله عنه – أول صادح بالقرآن بعد رسول الله ﷺ في أندية قريش.[٣]

حرص على العلم حتي ناله فعزه الله في الدنيا والآخرة ورضي الله عنه وأرضاه حيث قال: "زيادة العلم الابتغاء ودرك العلم السؤال فتعلم ما جهلت واعمل بما علمت"[٤].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) (٣٥٥/٣) – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٢) سورة النمل ١٥–١٦.

(٣) رجال حول الرسول (ص: ١٣٢).

(٤) هذا الأثر عن عبد الله بن مسعود؛ ذكره الإمام يوسف بن عبد البر في كتاب: جامع بيان العلم وفضله (٣٧٤/١) – الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية– الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

المطلب الثالث: عزة الأمة الإسلامية بدعوتها.

* الاعتزاز بالدعوة الإسلامية يتمثل في:

تكريم الله تعالى للأمة الإسلامية بأن جعل رسالة الإسلام عالمية شاملة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1]، وخاتمة الأديان، وجعل الأمة الإسلامية أمة ظاهرة غالبة على كل الأمم .

إنها إرادة الله أكبر من إرادة البشر وقوة أكبر من قوة البشر، ومهما تآمر الأعداء فلابد أن يتحقق وعد النبي ﷺ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»[2]، بل جعل الله لهذه الأمة فرج وإن مرت بها فترة هوان وذلة واغتراب في الدين، مسند أحمد مخرجًا (٢٤/ ٣٦٢) «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ، فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، وَلَا يَزَالُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[3].

وقد علم كل من انتسب إلى هذا الدين أن طريقه غير مفروش بالورود والزهور بل هو

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٨/ ١٥٤) رقم (١٦٩٥٧) . وقال الهيثمي: "وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ١٤)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٢/٢٤) رقم (١٥٥٩٦) . وقال الهيثمي: "وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ١٤)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

محفوف بالأخطار، والدخول فيه اختبار شاق لا يجتازه إلا الهمم الأبية والنفوس العالية التي حازت الإيمان والإخلاص الموصوفة بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾[1].

وعندما يكون المؤمن صاحب عقيدة ومنهج في الحياة تتداعى أمامه كل قوة وكل جبروت، ويصبح كبير النفس لرفعة هذا الدين الذي يحمله، فلا يعرف الخضوع والتذلل إلا عند عتبات الربوبية التي تجعله عزيزاً مكرماً.

(١) سورة المائدة/ ٥٤.

الخاتمة

إن العزة لتكون أمام الأنفس فمن كان ذليلاً في نفسه فلن يكون عزيزاً أمام أعدائه، ومن كان ضعيفًا جبانًا في حمل الدعوة الإسلامية فلن يكون عزيزاً في مواجهة قريبٍ أو بعيدٍ.

وإن كثيرين ممن يواجهون العزة أمام الأعداء ولكن القليل من يدرك العزة في مواطن الشهوات. شعورك بالعزة مهما نزلت بك الخطوب، وتوالت الدهور، وكثرت الشرور إنما هي وصفك ورسمك. فكن عزيزاً بعدد أنفاسك، وكن عزيزاً عند مماتك، فما أطيب الموت بعزة وما أمر من الحياة في مذلة، وبعد:

من أهم نتائج البحث التي توصلت إليها:

١ – الأصل في مادة (عزز) القوة والشدة، وقد ورد لفظ "العزة" في القرآن الكريم بألفاظ وصيغ مختلفة، وجاءت في الاستعمال القرآني على عدة أوجه منها: المنْعَة، والعظمة، والحَمِيّة، والغلظة، والشدة، والقوة.

٢ – هناك عزة محمودة، وصورها: اسمًا وصفة لله تعالي، ووصفًا للقرآن الكريم، ووصفًا للرسول ﷺ، ووصفًا للمؤمنين.

٣ – لا تعارض بين الآيات؛ لأنَّ العزّ الذي هو للرسول ﷺ والمؤمنين هو في الحقيقة ملك لله ومخلوق له، وعزّه سبحانه هو المصدر لكلِّ عزّ، ومن ثَمّ يكون عزّ الرسول ﷺ والمؤمنين مستمدّ من عزّ الله ﷻ. وعلى هذا فالعزُّ كلُّه لله، والعزّة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلاّ إذا استظلّت بظلّ الله، واحتمت بحماه.

٤ – هناك عزة مذمومة، وصورها: الاعتزاز بالكفار، وبالأصنام والأوثان والأموات، وبالقبيلة والرهط، والاعتزاز بالجاه والمنصب، وعدم قبول الحق من صفات المنافقين.

٥ – طرق تحصيل العزة للأمة الإسلامية تكمن في: تحقيق العبودية لله تعالى، وتحصيل العلم. والاعتزاز بالدعوة الإسلامية.

٦ - عزة الكفار عزة فارغة وليست حقيقية؛ لأنها عزة ذُل وهوان وصدق الله القائل: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾[1].

*** أهم التوصيات:**

١ - أوصي بإدراج موضوع العزة في القرآن الكريم ضمن الموضوعات المقررة في مادة "التفسير الموضوعي" على الفرقة الثالثة والرابعة.

٢ - إدراج مادة "التفسير الموضوعي" على قسم الدعوة والثقافة الإسلامية؛ لأن ذلك يعينهم في أداء الخطب والمحاضرات.

٣ - تدريب الطلاب عملياً في مادة "التفسير الموضوعي"، بأن يكون جزء من المادة نظرياً، والجزء الآخر عبارة عن بحث عملي يُكلف به الطالب حتى يتدرب على الكتابة في التفسير الموضوعي.

٤ - تعميم تدريس مقرر "التفسير الموضوعي" على الشعب غير المتخصصة في التفسير وعلوم القرآن.

* أسألُ اللهَ تعالى أن أكون قد وُفَّقْتُ في هذ البحث، وهذا جهد المقل وحيلة الضعيف فما كان من إجادة وصواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ وتقصير فمن نفسي والشيطان وأسأل الله المغفرة، ورحم الله جميع علماء هذه الأمة، وجزاهم عنا خير الجزاء، ونفعنا بعلومهم في الدنيا والآخرة . آمين.

---

(١) سورة مريم ٨١-٨٢.

فهرس المصادر والمراجع[1]

- القرآن الكريم.
- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لسعد الدين السيد صالح - دار الأرقم ١٩٨٩م.
- أسباب النزول لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) - دار الإصلاح - الدمام - الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ مـ.
- إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) دار المعارف - مصر - الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) - مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م.
- تفسير أسماء الله الحسنى لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) - ط: دار الثقافة العربية.
- جامع الإمام الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الطبعة: الثانية،

(١) مرتب على حروف الهجاء.

١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.
- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) - الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر/ دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الروض الأنف لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) - دار إحياء التراث العربي، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) - دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- رجال حول الرسول لخالد محمد خالد ثابت (المتوفى: ١٤١٦هـ) - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.
- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.
- سنن أبي داود لأبي داود السِّجِستاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر:

المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

- السيرة النبوية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان – عام النشر: ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٦ م
- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) – الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م
- صحيح ابن حبان لابن حبان البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.
- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) – دار صادر – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.
- العزة مصادرها وأسبابها لمحمد بن عبد الله الهبدان، دار الوطن: ط: ١-٢٠٠١م.
- العين للخليل بن أحمد البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) دار ومكتبة الهلال، وتهذيب اللغة باب العين والزاي؛ لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- مباحث في التفسير الموضوعي د/ مصطفى مسلم / دار القلم، دمشق.
- المدخل إلى التفسير الموضوعي د/ عبد الستار فتح الله سعيد / دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- مسند أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن حنبل المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) – الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ/ ٢٠٠٠ م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، لأبي إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) – عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
- معجم مقاليد العلوم للإمام لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – مكتبة الآداب – القاهرة / مصر – الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت.
- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) – دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت/ الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة: الثالثة.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) – مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

فهرس عام للموضوعات

ملخص البحث باللغة العربية:	١١٨٤
ملخص البحث باللغة الإنجليزية:	١١٨٥
المقدمة	١١٨٦
أهمية الموضوع:	١١٨٧
أسباب اختيار الموضوع:	١١٨٧
الدراسات السابقة:	١١٨٧
منهجي في البحث:	١١٨٨
خطة البحث:	١١٨٩
التمهيد	١١٩١
التعريف بالتفسير الموضوعي:	١١٩١
المبحث الأول دلالة كلمة العزة في اللغة والقرآن	١١٩٢
المطلب الأول: حقيقة "العزة" في اللغة والاصطلاح	١١٩٢
المطلب الثاني: وورد كلمة " العزة " في القرآن الكريم.	١١٩٤
المبحث الثاني العزة الممدوحة في القرآن الكريم	١١٩٦
المطلب الثاني: العزة صفة القرآن الكريم.	١٢٠٠
المطلب الثالث: عزة رسول الله ﷺ والاقتداء به فيها	١٢٠٣
المطلب الرابع: العزة باعتبارها وصفًا للمؤمنين.	١٢٠٧
المبحث الثالث عزة المؤمنين المقيدة بزمام الشرع	١٢١٠

المطلب الأول: اعتزاز المنافقين بالكفار من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب على المسلمين. ١٢١٠
المطلب الثاني: الاعتزاز بالأصنام والأوثان والأموات. ١٢١٣
المطلب الثالث: الاعتزاز بالقبيلة والرهط. ١٢١٥
المبحث الرابع طرق تحصيل العزة ١٢١٩
المطلب الأول: تحقيق العبودية لله تعالى. ١٢١٩
المطلب الثاني: تحصيل العلم طريق العز. ١٢٢٢
المطلب الثالث: عزة الأمة الإسلامية بدعوتها ١٢٢٥
الخاتمة ١٢٢٧
* أهم التوصيات: ١٢٢٨
فهرس المصادر والمراجع ١٢٢٩
فهرس عام للموضوعات ١٢٣٣